

## الوقت في حياتنا.. وعي وثقافة



﴿قَالَ إِنَّ سَبَّاهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَتَانِصَبْ \* وَإِلَى رَبِّكَ فَتَارِغَبْ)﴾  
(الشح / 7-8).

من الأُمور التي حرص عليها الإسلام في تربيته، دعوته الإنسان للاهتمام بوقت الفراغ. والمقصود بوقت الفراغ هنا، الوقت الذي يمر على الإنسان من دون أي مسؤوليات تشغله، كالعامل الذي أنهى عمله ولم يعد لديه عمل، أو الموظف الذي هو في إجازة، أو الطالب الذي أنهى عامه الدراسي ودخل في العطلة الصيفية...

ومن الطبيعي أن يكون للإنسان وقت فراغ، فهو ضروري للتخفيف من أعباء العمل ومتطلباته وقت الدراسة، وليجدد الإنسان نشاطه وحيويته، حيث لا يمكن للإنسان أن يكون في عمل دائم، أو في تعلم لا توقف فيه. وقد يستوجب هذا الملل والضجر وقلة الفاعلية. وهذا ما دعا إليه الحديث: "للمؤمن ثلاثة ساعات: ساعة يُنادي فيها ربّه، وساعة يَرْمُّ معاشَه، وساعة يُخْلِي بينَ نفسه وبينَ لذاته فيما يَحْلِلُ ويَجْمُلُ". وفي الحديث: "ما أحق الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغلها شاغل!".

فراغ أم عمل؟!

ولكن يبقى التساؤل حول كيفية التعامل مع أوقات الفراغ هذه، التي إن لم يحسن الإنسان استغلالها، فقد تذهب هدراً وتضيع ولا يستفاد منها، فتقضى في النوم الطويل، أو على شاشات التلفاز، أو على مواقف التواصل، أو في الذّهرات والرحلات... وقد تكون باباً ينفذ منه الانحراف، فهي تدفع الإنسان إلى اكتساب عادات سيئة، أو القيام بأعمال غير مشروعة، أو الركون إلى رفاق السوء، أو تؤدي به إلى اضطرابات نفسية وتوترات عصبية تتعكس عليه أو على الذين يعيشون معه أو على المجتمع. وقد أظهرت دراسات أُجريت عن علاقة الشباب بالمخدرات، أنّ سبب تعاطي الكثير منهم لها كان أوقات الفراغ الكثيرة لديهم. ولذلك، اعتبر الفراغ من أوثق فرص الشيطان.

ومن هنا، جاءت الدعوة في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة إلى حُسن الاستفادة من أوقات الفراغ هذه، بأن تُمْلأ بـكلّ مفيد، وتُشغَّل بجوانب غير محسوبة عادةً في تخطيط الإنسان اليومي أو في جدوله الزمني. فالإنسان بحاجة إلى أن يقوم بأعمال لم يعتد القيام بها في الأوقات العادلة، وذلك من أجل استكمال ما نقص في بنائه لنفسه أو لتطويرها. فهو كما يحتاج إلى علم وعمل، يحتاج إلى تنمية جسده وبناء روحانيّته، وإلى توسيعة معارفه الدينية ومتابعته الثقافية ومهاراته وقدراته، وإلى تواصل اجتماعي مع أرحامه وجيرانه، وإلى المساهمة في عمل تطوعي خيري أو اجتماعي، وإلى إجراء مراجعة لنفسه وسدّ نقائصه، وإلى أسفار هادئة يقوم بها... .

فالمبادر أن لا يكون هناك أوقات فراغ ليس فيها أيّ عمل. نعم، قد ينتقل الإنسان من أجواء التعلّم أو الوظيفة، إلى أجواء أخرى ليس فيها تبعات العمل أو التعلّم والوظيفة، ولكنّها ليست خالية من الهدف. فالفراغ ينشأ مع غياب هدف عند الإنسان في تمضية هذا الوقت، وهذا ما لا يريده الله لأيّ مسلم، ولا يريد للحياة.

ولذلك، نجد الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله (ص) في الآية التي تلواناها: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَامْرِبْ \* وَإِلَى رَبِّكَ فَارْجِبْ). وهي دعوة منه سبحانه أن لا نفرغ من عمل حتى نبدأ مباشرةً بعمل آخر. فلا نفرغ من عبادة واجبة، حتى نبدأ بمستحبة، ولا نفرغ من مشاغل الآخرة، إلاّ ونتبعها بعمل خير من أعمال الدنيا.

### تبعات الفراغ!

فيما كان التحذير من التبعات التي قد تحدث عندما يقع الإنسان في الفراغ، وتضيع منه فرص العمر الذي هو أثمن رأس المال أودعه الله عنه.

وقد أشار الحديث الشريف إلى الحسرة على أيام فاتت وذهبت، في يوم القيمة، يفتح للعبد خزائن عددها أربع وعشرون خزانة، هي بعدد ساعات اليوم الواحد، وكلّ خزانة من هذه الخزائن تظهر نتائج ما حصل فيها من أعمال في الحياة الدنيا، خزائن من هذه الخزائن يجدها مملوءة نوراً، وهي الساعات التي أطاع فيها ربّه، وخزائن أخرى مظلمة ومحشّة وكئيبة، وهي التي عصى الله فيها سبحانه. ويتوّقّف طويلاً ويتحسّر عندما تفتح له خزائن فارغة ليس فيها شيء، ولا نور ولا ظلمة، ويسأل ماذا فيها، فإذا هي الأوقات التي لم يعمل فيها شيئاً، وهي ساعات الفراغ التي ذهبت هدراً، وكان بإمكانه أن يملأها نوراً وهدى وعلماً وعملاً، وهو لم يفعل ذلك..

وفي الحديث: "أشد الناس حسابة يوم القيمة، المكفي الفارغ".

وفي الحديث: "واعلم أن الدنيا دارٌ بـلـيـةٍ، لم يفرُغ صاحبُها فيها قطٌّ ساعةٌ، إلا كانت فـرـغـتـه عليه حـسـرـةٍ يوم القيمة". وفي الحديث: "إن الله يبغض العبد النـوـام الفارغ".

هذا في الآخرة. أمّا في الدنيا، ففي الحديث: "من الفراغ تكون المصيبة". والمقصود بالصيوة الجهل والتخلّف. وفيه أيضاً: "خلتان مفتون بها كثير من الناس: الصحة والفراغ"، "احفظ عمرك من التضييع له في غير العبادة والطاعات".

فالكثير من الناس هم خاسرون ومحبونون، عندما يفوّتون على أنفسهم فرصة الاستفادة من الزمن المودع لديهم بما يرفع من مستواهم.

ولذلك، نجد أن الإمام زين العابدين (ع)، كان يقف بين يدي الله عزّ وجلّ من أجل أن يعينه على أوقات الفراغ، وكان يقول: "اللهُم .. اشـغـلـ قـلـوبـنـا بـذـكـرـكـ عنـ كـلـ ذـكـرـ، وألسـنـتـنـا بشـكـرـكـ عنـ كـلـ شـكـرـ وجـوارـ حـنـنا بطـاعـاتـكـ عنـ كـلـ طـاعـةـ، فإنـ قدـرـتـ لـنـا فـرـاغـاـ منـ شـغـلـ، فـاجـعـلـهـ

فراغ سلامَة، لا تُدرِكُنا فيه تَبَيْعَةٌ، ولا تَلْحَقُنا فيه سَآمَةٌ، حتى يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتْبَابُ السِّيَّئَاتِ بِصَحِيفَةِ خَالِيةٍ مِنْ ذِكْرِ سِيَّئَاتِنَا، وَيَتَوَلَّ إِلَيْهِ كُتْبَابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورٌ بِنَهْيٍ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا". وهذا الدُّعَاءُ أَفْضَلُ تعبير عن الخشية من تبعات الفراغ وتداعياته.

## مسؤولية الزمن

إذاً، في منطق الإسلام، ليس هناك وقت فراغ بمعنى اللاعمل، أو العمل الذي ليس فيه الفائدة المرجوة، بحيث يضيع الوقت ويهدى. فالزمن له قيمة، هو مسؤولية، "فلا تزول قدما عبد يوم القيمة، حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه".

وقد ورد في الحديث: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"، "إن الليل والنهر يعلمان فيك فاعمل فيهما، وياخذان منك فخذ منهما".

"كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك". "رَحْمَمْ إِنْ امْرِئٌ عَلِمَ أَنْ نَفْسَهُ خُطَاهُ إِلَى أَجْلِهِ، فبادر عمله، وقصّر أمله".

وهنا، قد يعتقد البعض أنّه مادام أنهى عمله أو تعلّمه أو القيام بمسؤولياته العائلية، فإنه بذلك يكون قد أدى دوره، ولهذا، يحقّ له أن يقضي وقته فيما شاء، المهمّ أن لا يقع في الحرام. ولكنّ مهمّات الحياة لا تقتصر عند هذا الحدّ، وقد حدّد الإمام زين العابدين (ع) في دعاء الصباح والمساء البرنامج الذي ينبغي لكلّ إنسان القيام به، حيث قال:

"اللَّهُمَّ .. وَفِي يَوْمِنَا هَذَا، وَلَيْلَاتِنَا هَذَا، وَفِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا، لَا تَعْمَلْنَا بِخَيْرٍ، وَهُجْرَانَ الشَّرِّ، وَشُكْرَ الذِّعَمِ، وَاتِّبَاعَ السُّنْنِ، وَمُجَانَبَةَ الْبَدْعِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحِيَاطَةِ الإِسْلَامِ، وَانتِقَاصِ الْبَاطِلِ، وَإِذْلَالِهِ، وَنَصْرَةِ الْحَقِّ، وَإِعْزَازِهِ، وَإِرشادِ الظَّالِمِ، وَمُعَاوِنَةِ الظَّعِيفِ، وَإِدْرَاكِ الْتَّاهِيَفِ".

إنّنا بحاجة إلى استحضار هذه الأهميّة للوقت، وخصوصاً الطلاب وهم في العطلة الصيفية، بأن نخطّط لها، وأن نستفيد منها، حتى لا تضيع فيما نحن أحوج ما نكون إليها.

وهذا لا يتمّ إلّا عندما ندرس احتياجاتنا، فكلّ له احتياجاته، وعندما نسعى إلى القيام بما يمكن القيام به، ونستفيد في ذلك من مبادرات تقوم بها مؤسّسات وجهات تقوم بدور في هذا المجال.

وهنا، لابدّ من أن ننوّه بكلّ الجهد الذي يُبذَل من أجل إقامة دورات عامّة أو دورات خاصّة في القرآن الكريم أو الحديث أو الفقه أو العقيدة، أو دورات مهنية، أو دورات رياضية وكشفية، أو أعمال تطويّعية، فهي فرصة وطاعة لسبحانه.

## خسارة لا تعوض

إنّ أكبر خسارة يخسرها الإنسان هي خسارة الوقت، فهو بذلك يخسر نفسه. فالإنسان كما ورد في الحديث: "إِنَّمَا أَنْتَ عَدُودٌ أَيَّامٌ، فَكُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي عَلَيْكَ يَمْضِي بِهِ عَضْلُكُ". هي خسارة لا تعوض، ما يفوّت منها لن يعود. ولذلك، كان نداء رسول الله (ص): "الآن الآن من قبل الذِّدْم، ومن قبل أن تقول نفس: يا حسرتي على ما فرّطت في جنبه...". "الآن الآن مادام الوثاق مطلقاً، والسراج منيراً، وباب التوبة مفتوحاً، من قبل أن يجفّ القلم، وتطوى الصفحة".

وحتى لا نصل إلى ما أشار إليه الله سبحانه: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا رَبَّنَا زَعْمَلٌ صَالِحًا غَيْرَ الْمُذْكُورَ زَعْمَلٌ أَوْلَامٌ زُعْمَرٌ كُمٌ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) (فاطر/ 37).

فليكن دعاؤنا لله سبحانه: "وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ أَطَّلَتْ عُمُرَهُ وَحَسْنَتْ عَمَلَهُ، وَأَتَمَّتْ عَلَيْهِ زِعْمَلَكَ، وَرَضِيتَ عَنِّي، وَاحِدَّيْتَهُ حَيَاةً طِيقَةً فِي أَدْوَمِ السُّرُورِ وَأَسْدَغَ الْكِرَامَةِ وَأَتَمَّ الْعَيْشَ".

وقد قال عليّ (ع): "فيما لها حسرة على كل ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤديه أيامه إلى شفاعة!".

إنّ تعزيز هذا السلوك، لن يحصل إلا بتعزيز ثقافة الوقت في الحياة، وبالقدوة الحسنة، وبإرادة لا تخضع لاعتبارات الواقع الذي أدمى ثقافة تضييع الوقت ولم ير له أهمية.

وحتى لا نقول: (رَبَّ ارْجِعُونَ لَعَلَّ يُؤْمِلُ صَالِحًا) (المؤمنون/ 99-100).